وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الـــــوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

اللغة العربية والقرآن الكريم

محاضرات موجهة إلى طلبة السنة الأولى (ماستر) – لسانيات عامة

إعداد:
أ.د/ أحمد الشايب عرباوي

الموسم الجامعي (1443-1444 هـ / 2021- 2022 م)

مقدمة

علاقة اللغة العربية بالقرآن الكريم علاقة أبوّة وبنوّة، إذ لا يمكن للقرآن الكريم أن يُفهم بغير العلم بالعربية، ولا يمكن للعربية أن تعيش بمعزل عن القرآن الكريم.

هذه إذًا محاضرات في مقياس "اللغة العربية والقرآن الكريم" موجهة إلى طلبة السنة الثانية ماستر، تخصص لسانيات عامة.

وأمام هذا الظرف الاستثنائي الذي نعيشه، فقد جاءت هذه المحاضرات مقتضبة موجزة لكنها مذيّلة بالمصادر والمراجع المناسبة، كما أنها لم تستوعب كل ما هو مقرر، وهذا من باب ما لا يدرك كله لا يترك جلّه.

أملي أن يدرك الطلاب من خلال هذه المحاضرات حقيقة العلاقة التي تربط اللغة العربية بالقرآن الكريم، وهذا بالطبع سيمكنهم من أن يشقوا طريقهم باحثين في اللغة العربية وعلومها، وكلهم شموخ وعزة واقتدار.

أ.د/ أحمد الشايب عرباوي

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم

العربية قبل نزول القرآن الكريم:

تمر اللغات عادة بمراحل: طفولة وشباب ثم كهولة وشيخوخة، ولعل العربية قبل نزول القرآن أي في القرن الأول ق.هـ الذي يوافق القرن السادس الميلادي كانت في عنفوانها جمالاً في اللفظ وجودة في التركيب، فازدهر الإبداع وكثر الإنتاج ونشطت بسبب ذلك حركة نقدية اتخذت من أسواق العرب في الجاهلية مرتعا لها، وكانت ثمرة ذلك كله ميراث ضخم من الشعر والنثر، هو ما اصطلح عليه بـ"الأدب الجاهلي"، وهو الميراث الذي لم يزل يغترف منه المشتغلون بالعربية إلى اليوم.

هذه هي البيئة اللغوية التي نزل فيها القرآن الكريم، فلم تكن العربية عصرئذ لغة ناشئة أو لهجة محلية مهملة ينطق بها عدد محدود من الأفراد، وإنما كانت العربية بالمستوى الذي ذكرناه، وكان أهلها إذًا وهم العرب أهل فصاحة وبلاغة بها يتناشدون وعلى فصاحتها يتنافسون.

القرآن نزل باللغة العربية:

هذه حقيقة ثابتة لا يشكك فيها إلا من قصر علمه عن القرآن ولغته، فيكفي في إثباتها أن القرآن نفسه صرح بذلك في إحدى عشرة آية[1] إلاّ آية واحدة جاء فيها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد37]. فهل الحكم هو اللسان؟ قال صاحب التحرير والتنوير: " ... وإنما المعنى أنه [أيْ القرآن] حكمة معبر عنها بالعربية... فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حكما، وكمال من جهة ألفاظه، وهو المكنى عنه بكونه عربيّا."[2] فهكذا إذًا تكون العربية قد بلغت أقصى درجات الكمال، لا لشيء إلاّ لأنها اللغة التي نزل بها القرآن.

القرآن واللغة العربية المشتركة:

إننا عندما نقول بأنّ القرآن نزل في الوقت الذي ازدهرت فيه اللغة العربية، فأي عربية نقصد؟

المعلوم أن العربية كانت اللغة التي نطقتها قبائل الجزيرة العربية وما جاورها، ومن المقطوع به عند الباحثين أنه كانت لقبائل العرب خصوصيات لغوية، بمعنى أنهم، وإن كانوا يتحدثون العربية، إلاّ أنّ بينهم خلافا في نطق بعض الكلمات أو في استعمالاتها، وهذا الذي يعنيه العلماء عندما يتحدثون عن كشكشة أسد أو عنعنة تميم، [3] أو طمطمانية حمير،[4] أو غير ذلك. فما هي إذًا اللغة التي نزل بها القرآن؟

يذهب كثير من العلماء والباحثين قديما وحديثا إلى أن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة قريش كبرى قبائل العرب، يقول أحمد ابن فارس (395هـ): " أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أن قُرَيشاً أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً. وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة

---

[1] – هذه الآيات بسورها هي:

يوسف2/ الرعد37/ النحل103/ طه113/ الشعراء195/ الزمر28/ فصلت3 و 44 / الشورى7/ الزخرف3/ الأحقاف12.

[2] - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، 13/ 160

[3] – ينظر: أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1997م، ص29

[4] – ينظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص 90 و91

محمداً ﷺ ، فجعل قُريشاً قُطَّان حَرَمه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ. فكانت وُفود العرب من حُجاجها وغيرهم يَفِدون إِلَى مكة للحج، ويتحاكمون إِلَى قريش فِي أُمورهم. وَكَانَتْ قريش تعلمهم مَناسكَهم وتحكُمُ بَيْنَهم ... وَكَانَتْ قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إِذَا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إِلَى نَحائرهم وسَلائقهم الَّتِي طُبعوا عَلَيْهَا. فصاروا بذلك أفصح العرب."[1]

من المقولة السابقة يتبين لنا الآتي:

1 - إن أفصح قبائل العرب لغةً هي قريش، وقد قال بذلك كثير من القدماء والمحدثين.[2]

2 - إن فصاحة لغة قريش لم تكن ذاتية فحسب، إنما كانت خلاصة انتخاب لأفصح وأعذب ما نطقته العرب، وهذه الحظوة التي نالتها قريش دون غيرها من قبائل العرب إنما كانت لمكانتها الدينية والاقتصادية، فمكة كانت محجّ قبائل العرب في الجاهلية، وقريش عُرفت بنشاطها التجاري الذي لا يعود بالنفع على قبيلة قريش وحدها فقط، وإنما على جزيرة العرب برمتها[3]، ولو لم يكن لهذا النشاط التجاري قيمة ما نزل فيه قرآن، قال تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [قريش1و2]، يضاف إلى ذلك سوق عكاظ الذي كان موسما اقتصاديا وثقافيا، كل هذه الأسباب جعلت لقريش هذه العلاقات الواسعة والدائمة مع قبائل العرب.

نعيد الآن طرح السؤال:

هذه اللغة العربية المشتركة، هل هي لغة قريش أم من صنع قريش؟

إنّ وصف لغة قريش بالفصاحة مطلقا هو ما درج عليه معظم القدماء والمحدثين، غير أنّ الدكتور عبده الراجحي شكّك في الأمر، وردَّ هذا الادعاء، يتلخص ردُّه في الآتي:

1 - ما وصفت لغة قريش بالفصاحة إلاّ لأنّ النبي ﷺ قرشي منها.

2 - إنّ قول الرسول ﷺ المستدل به على فصاحة قريش مؤداه نقيض ما يستدلون عليه، فقد جاء فيه: " أنا أفصح من نطق الضاد بيد أنّي من قريش"، حيث فسروا "بيْد" بمعنى "من أجل" والصواب، على رأي الراجحي، أن "بيد أنّي" تعني "غير أنّي"، وهذا يفضي إلى أن الرسول ﷺ فصيح لكنَّ قريشًا ليست فصيحة.

3 - ذهبوا إلى أن القرآن نزل بلغة قريش مع أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة يناقض هذا الزعم.

4 - هذه الأسباب السياسية والاقتصادية والدينية التي ذكرها المحدثون غير كافية في نظر الراجحي، فالبيئة القاحلة المجدبة التي سكنها العرب تضطرهم إلى أن يتحركوا ذات اليمين وذات الشمال بحثا عن الكلأ والماء، دون الحاجة إلى أن تكون لهم أسباب أخرى للحركة.

---

[1] - أحمد بن فارس الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص28

[2] – ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1996م، ص 41 و44

[3] – ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2004 ، ص87، 88

5 - آراء الدارسين المحدثين لا تقوم على أساس لغوي علمي صحيح، فالحكم على لغة ما لا يكون من خلال أقوال الرواة عنها، وإنما من خلال الانكباب عليها دراسة وتمحيصا.[1]

إنّ مجمل هذه الردود منطقية بوجه عام، لكن يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1 - إنّ ما ذهب إليه القدماء من إثبات فصاحة قريش؛ لأن الرسول ﷺ فصيح، استنتاج منطقي، فهل يعقل أن تنتج بيئة معروفة باللحن وفساد اللغة فردًا فصيحا؟ بالطبع لا يمكن. فمن جهة المنطق هذا الأمر صواب، لكن من جهة الواقع اللغوي فشيء آخر، ففصاحة الرسول ﷺ كانت معجزة من معجزاته، ألم يقل ﷺ: "بُعثت بجوامع الكلم"[2] رواه الشيخان. يضاف إلى ذلك أنه ﷺ قضى طفولته في بادية بني سعد، وهذا ما كان يحرص عليه العرب مع أبنائهم صونا للأبدان وصقلا للسان.

2 - إن استدلال القدماء بحديث: " أنا أفصح من نطق الضاد بيد أنّي من قريش"، لا يخدم مذهبهم في إثبات الفصاحة لقريش كما ذهب الراجحي ، فليس معنى "بيد أنّ" هو " من أجل" وإنما المعنى الصحيح هو "غير أنّ"، والحقيقة أن هذا الحديث لا يخدم القدماء ولا الراجحي؛ لأن الحديث ليس بصحيح، إنما هو حديث لا أصل له كما قال العلماء.[3]

3 - قوله إن تعدد قراءات القرآن دليل على أنه لم ينزل بلغة قريش كلام فيه نظر؛ لأن اختلاف أوجه القراءات لا يعني أنه لم ينزل بلغة قريش، وإنما لغة قريش من ضمن اللغات التي يقرأ بها القرآن.

الخلاصة من كل ما سبق أن اللغة العربية المشتركة التي هيمنت على الأدب الجاهلي ودعمها القرآن الكريم ليست هي لغة قريش بالذات، ولا لغة قبيلة بعينها، يقول أبو نصر الفارابي (339هـ): " كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النُّطْق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانَة عما في النفس والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيٌّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ثم هذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم."[4] وبناءً على ما سبق فإنّ ما يطلق عليه باللغة العربية المشتركة، إنما هي لغة تواضع عليها الجميع بقصد أو بغير قصد، وإن يكن لقريش فضل في ذلك فهو فضل الاختيار والانتقاء والاصطفاء.

قال الفراء (207هـ): " كانت العربُ تحضر الموسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية وقريشٌ يسمعون لغاتِ العرب فما اسْتحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصحَ العرب وخلَتْ لغتُهم من مُستبْشع اللغات ومُستقبَح الألفاظ."[5]

وبعد الاختيار والانتقاء كان هناك الذود والحماية والصيانة والدفاع، وعلى هذا سار علماء اللغة. فالعربية عندهم هي التي اختارتها قريش وقوّاها القرآن، وما خرج عن ذلك إنما هو شاذ رديء قبيح ليس بفصيح.

---

[1] - ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص42 و43

[2] – البخاري، ، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 4/ 54 ، رقم الحديث 2977

– مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1/ 371، رقم الحديث 523

[3] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/ 1999م، 1/ 143

[4] – السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، 1/ 167

[5] – المصدر نفسه، 1/ 175

لغـــــــــات القرآن

اختلف علماء السلف في هذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم، فمن قائل إنه نزل بلغة قريش وحدها مستدلاً بقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم4][1]، ومن قائل إنه نزل بسبع لغات لسبع قبائل من العرب، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة قبائل أخرى هي هذيل وتميم وأزد وربيعة وهوزان وسعد بن بكر[2]، ولهذا الرأي علاقة بفهم حديث رسول الله ﷺ : " إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسّر."[3] أما ابن مالك صاحب الألفية فيذهب إلى أن الله سبحانه أنزل القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا فإنه نزل بلغة التميميين؛ ولهذا كثر في القرآن فك الإدغام من مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقْ ﴾ [النساء115] و ﴿ يُحْبِبْكُمْ ﴾[آل عمران31] وغير ذلك. وقلّ في القرآن الإدغام مثل قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ ﴾ [الحشر4][4].

ويظهر أن القول الوسط في المسألة هو أن القرآن الكريم نزل باللغة التي ارتضتها قريش، وهذا هو الأغلب، وجاء بعضٌ منه على لغات قبائل العرب الأخرى، وقد صنَّف العلماء في ذلك كتبًا أشهرها: كتاب "لغات القرآن للفراء، ومثله للأصمعي، وثالث لأبي زيد،[5] وقد وصلنا من قديم ما ألف في الموضوع كتابان: أولهما بعنوان "ما ورد في القرآن الكريم من من لغات القبائل" لأبي عبيد القاسم بن سلام (214هـ)، وثانيهما "كتاب اللغات في القرآن" لإسماعيل بن عمرو المقرئ (429هـ)[6]، هذا وقد أفرد السيوطي في كتابه الإتقان بابا خاصًّا عرض فيه لما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز، وأغلب الأمثلة التي أوردها تتناول المستوى الدلالي، فنسب كل لفظة إلى قبيلتها من غير الحجازيين وهذه أمثلة من ذلك:

لغة كنانة:

﴿ السُّفَهَاء ﴾ [البقرة13] بمعنى: الجهال

﴿ لاَ خَلاَقَ ﴾ [آل عمران77] بمعنى: لا نصيب

﴿ يَعْزُبُ ﴾ [يونس61] بمعنى: يغيب

لغة هُذيل:

﴿ شَرَوْا ﴾ [البقرة102] بمعنى: باعوا

﴿ عَيْلَةً ﴾ [التوبة28] بمعنى: فاقة وحاجة

﴿ الرِّجْزَ ﴾ [المدثر5] بمعنى: العذاب

---

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/ 1957م، 1/ 218

[2] – نفسه 1/ 217

[3] – صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، 3/ 122، رقم الحديث: 2419

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1/ 285

[5] – ابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص54

[6] – عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص52

لغة حِمْيَر:

﴿ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ [آل عمران122] بمعنى: أن تجْبُنَا

﴿ السِّقاية ﴾ [يوسف] بمعنى: الإناء

﴿ مَسْنُون ﴾ [الحِجْر] بمعنى: مُنْتِن

لغة أزد شنوءة:

﴿ لاَشِيَةَ ﴾ [البقرة71] بمعنى: الشِّيةُ: البياض، ويكنى به عن البرص.

﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ [18] بمعنى: الفِنَاء

﴿ الرَّسِّ ﴾ [الفرقان38] بمعنى: البئر.[1]

أما ما وقع في القرآن من غير لغة الحجازيين في غير المستوى الدلالي، ونعني به المستوى النحوي والصرفي فهو قليل، وقد أبان عنه بشكل واضح الاختلاف الحاصل بين القراءات القرآنية، ومن أمثلته:

في المستوى النحوي:

- الفعل "زَوَّجَ" في لغة الحجاز يتعدى بنفسه، أما عند أهل اليمن فيتعدّى إلى المعمول الثاني بحرف الجرّ فيقال: زوجتك بفلانة، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان54] [2]
- لغة من يلزم المثنى الألف، وهي لغةٌ لكنانة وبني الحارث بن كعب، وجاء منه على قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحمزة قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [طه63][3]

في المستوى الصرفي:

- تختلف القبائل العربية في المد والقصر، فأهل الحجاز، وهم سكان يمدون، بينما غيرهم من أهل البادية وفيهم تميم وقيس وربيعة وأسد، فإنهم يقصرون، وقد جاء من هذا في القرآن الكريم، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر﴿ دَكًّا ﴾ منونة مقصورة من قوله تعالى: ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الكهف 98]، وهذا على لغة تميم وقيس وأضرابهم. وقرأ حمزة والكسائي ﴿ دَكّاء ﴾ممدودة غير منونة على لغة الحجازيين.[4]
- كذلك تختلف بعض قبائل العرب في بعض المصادر، فالفعل "زعم" مصدره "زَعْمًا" (بفتح الزاي)، غير أن بني أسد يضمون الزاي فيقولون "الزُّعْم" وعلى هذا قرأ الكسائي:﴿ فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴾ الأنعام136[5]
- من أمثلة اختلاف قبائل العرب في المصادر، مصدر الفعل "كَذَّبَ" الذي هو "تَكْذِيبًا " غير أن أهل اليمن يجعلون المصدر " كِذَّابًا" وقد جاءت بذلك قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ النبأ28[6]

---

[1] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص283 وما بعدها.

[2] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 2/ 106

[3] – نفسه،7/ 349، 350

[4] – نفسه، 5/ 167 و عبده الراجحي، اللهجات العربية ، 167، 168

[5] – نفسه، 4/ 655

[6] – نفسه، 10/ 388

غريب القرآن

ما الغريب؟

الغريب في اللغة:

جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ): " الغريب: الغامض من الكلام."[1]

وجاء في تاج العروس للزبيدي(1205هـ): " يقال: تكلم فأغرب، أي جاء بغريب الكلام ونوادره"[2]

يفهم من هذا أن الغريب من الكلام هو خلاف المألوف منه.

هذا وقد مُدح الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى بأنه كان لا يعاظل * بين الكلام، ولا يتبع وحشيه ولا يمدح الرجل إلاّ بما فيه[3]، ولك أن تميز بين بيت لزهير خالٍ من الغريب، وآخر للشنفرى الأزدي غاصٌّ به، والشاعران متعاصران تقريبا.

فأما بيت زهير فمن معلقته قوله: (من الطويل)

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ثمانين حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[4]

وأما الشنفرى الأزدي فمن لاميته الشهيرة قوله يصف حاله وهو يُغير على حيٍّ من أحياء العرب: (من الطويل)

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ[5]

وأما مفهوم الغريب بالنسبة للقرآن الكريم فقد تضمنته كتب غريب القرآن، وهي كتب اشتملت على " تفسير ألفاظ القرآن تفسيرا لغويا، وقد يكون هذا التفسير مدعوما بالشواهد العربية، وقد يكون مجرّدًا من الشواهد وهو الأكثر."[6]

وعلى الرغم من أن الله سبحانه قد يسر القرآن للذكر، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر40] إلاّ أنّ ألفاظه تنقسم بحسب إدراك معناها إلى قسمين:

- قسم يفهمه العامة من الناس، ومنه ألفاظ: الأرض والشمس والجبال والصلاة والحج وهلم جرًّا
- وقسم يفهمه العلماء ومن له باع بلغة العرب، ومنه ألفاظ: الغسلين، سرمدًا، القاسطون، الزقّوم ...الخ

ملاحظة:

مما يجب التنبيه إليه هنا هو أننا عندما نتحدث عن غريب القرآن، فإنّنا لا نعني به ما قصده أهل البلاغة من كلمة "غريب"، وهو اللفظ النشاز غير المألوف الذي ينافي الفصاحة، إنما نقصد به ما أراده علماء القرآن والمفسرون، فغريب

---

[1] – الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د،ت)411/4

[2] – الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د.ت) 3/ 472

* – المعاظلة في الكلام: التعقيد اللفظي الذي يختل معه المعنى ويضطرب / وحشي الكلام (وفي رواية "حوشي الكلام"): غريبه

[3] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة (د،ت) ص63

[4] – زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1408هـ/ 1988م ص110

[5] – الشنفرى الأزدي، الديوان،إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص63

[6] – مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ، ص 328

القرآن عندهم هو اللفظ قليل الاستعمال، مما يجعله غامضا عند كثير منهم أو عند بعضهم، مما يتطلب شرحًا وتفسيرًا.

الصحابة وغريب القرآن:

لا يختلف اثنان في أنّ جيل الصحابة أقرب الناس إلى لغة القرآن، ففيهم نزل، وقد كان دأبهم قراءته آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك فإنهم وقفوا على كلمات في القرآن لم يفهموها، لكنهم اتخذوا منها مواقف متباينة، من ذلك أن سيدنا أبا بكر ﷺ سئل عن معنى "الأبُّ" من قوله تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس31] فقال: أيُّ سماءٍ تظلني، وأي أرضٍ تُقلّني، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم؟" أما عمر بن الخطاب ﷺ لما قرأ الآية المذكورة قال: الفاكهة عرفناها فما الأبُّ؟ ثم قال: لعمرك يا ابن الخطّاب إنّ هذا لهو التكلف. وروي عنه أيضا في المقام نفسه أنه قرأ قوله تعالى:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران7][1]

التأليف في غريب القرآن:

قال السيوطي في ما ألف في غريب القرآن: " أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقٌ لَا يُحْصَوْنَ: مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ وَابْنُ دُرَيْدٍ. وَمِنْ أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْعُزَيْزِيِّ فَقَدْ أَقَامَ فِي تَأْلِيفِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يُحَرِّرُهُ هُوَ وَشَيْخُهُ أَبُو بَكْرِ بن الأنبا ري. وَمِنْ أَحْسَنِهَا الْمُفْرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ وَلِأَبِي حَيَّانَ فِي ذَلِكَ تَأْلِيفٌ مُخْتَصَرٌ فِي كُرَّاسَيْنِ."[2]

هذا كلام عالم من علماء القرن العاشر للهجرة، فكيف بالعصور التي تلت ذلك؟

إذا أردنا أن نؤرخ للتأليف في غريب القرآن فإننا نجد أنه لم يظهر في عهد الصحابة والتابعين، صحيح أن هناك كتاباً في غريب القرآن منسوب لابن عباسٍ ﷺ لكنه في الحقيقة ليس من صنعه، إنما من صنع من جاء بعده.[3] أما أقدم وأشهر ما ألف في هذا الباب، فنجد منه:

- مجاز القرآن لأبي عبيدة (210هـ)
- غريب القرآن لابن قتيبة (276هـ)
- غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (330هـ)

ثم تتالت وتتابعت التآليف بعد ذلك نذكر بعضًا منها مما كان مشهورًا ومطبوعا:

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (502هـ)
- مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي (1085هـ)
- معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي (1388هـ)
- كلمات القرآن لحسنين مخلوف (1410هـ)
- المفتاح النوراني... للشيخ محمد باي بلعالم (1430هـ)

[1] – بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1/ 295

[2] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، 4/2

[3] – مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1، 1422، ص329

إعـــراب القرآن

تعريف الإعراب لغة واصطلاحا :

الإعراب، لغة : الإبانة والإيضاح ، واصطلاحاً هو ما عرّفه به ابن هشام عندما قال:

" الإعراب أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن ، والفعل المضارع "[1] معنى هذا أن الإعراب نقيض البناء . إنّ هذا التعريف الاصطلاحي لم يكن بهذا الوضوح وهذه الدقة عند المتقدمين . إنما كانوا لا يرؤن فرقًا بين النحو والإعراب ، وهما في نظرهم شيء واحد ، بل هذا ابن منظور (711هـ) ، وهو من المتأخرين ، يبني تعريفه للإعراب وفق تصوراتهم ، يقول : " الإعراب الذي هو النحو ، إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ "[2] . ثم إن كثيراً من الكتب التي أُلفت ، وكانت كلمة الإعراب جزءًا من العنوان فيها ، نجدها تشتمل على موضوعات مختلفة لا صلة لها غالباً بمفهوم الإعراب الاصطلاحي ، من هذه الكتب:

- كتاب ابن جني (392 هـ) " سر صناعة الإعراب " يتضمن دراسة صوتية للحروف العربية مع بعض أحكام النحو .
- كتاب الزجاج، أبي اسحق (316هـ)" إعراب القرآن " يتضمن مسائل في القراءات والفقه .
- اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء العكبري (616هـ) ، يتضمن مسائل نحوية متعددة (الكلام ، وضع النحو، الحروف ...)
- كتاب " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " لابن هشام الأنصاري ، يتضمن قضايا نحوية ولغوية مختلفة .

والسبب الذي دفع إلى المزج بين المفهومين النحو والإعراب هو أن النحو نفسه منشأه تأملات في الناحية الإعرابية للكلمة.

علم إعراب القرآن:

هو علم يبحث في تخريج تراكيب القرآن على القواعد النحوية المحررة.[3]

أهمية إعراب القرآن وفوائده:

1 - أن يُقرأ كتاب الله كما أنزل ويصان من اللحن والخطأ.

2 - علم إعراب القرآن يعين على معرفة علم الوقف والابتداء، والعلم بهما هو أساس التلاوة الصحيحة.

3 - يعين على توجيه القراءات وحلّ مشكلاتها وبيان عللها وكشف معانيها.

4 - علم إعراب القرآن هو أهم سبيل إلى إدراك المعنى

5 - استنباط الأحكام الشرعية من القرآن، كثيرا ما يستند إلى إعراب القرآن.

---

[1] - ابن هشام الأنصاري ، متن شذور الذهب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (د.ت) ص2

[2] - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، مادة : عرب ، 1/ 589 .

[3] - يوسف العيساوي، علم إعراب القرآن، تأصيل وبيان، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص28

نشأة علم إعراب القرآن وتطوره:

يمكن أن نميز في تطور علم إعراب القرآن المراحل الآتية:

1 – مرحلة النشأة:

وهي مرحلة نشأة النحو العربي نفسه؛ لأنّ الإعراب هو الذي بُنيت على أساسه قواعد النحو العربي، وكان القرآن الكريم دليلا أساسيا من أدلته. وأهم ما يطبع مرحلة النشأة المهمة التي اضطلع بها أبو الأسود الدؤلي(69هـ) عندما عمد إلى تشكيل حروف المصحف بالتمييز بين الضمة والفتحة والكسرة، وكذلك التنوين في صورة نقط متباينة [1]". ، وهو ما يسمى في كتب تاريخ النحو بنقط الإعراب، لكن هذه النقط تداخلت مع نقط الحروف المعجمة، فجاء الخليل بن أحمد (170هـ) وطوّرها مخترعا ما يعرف بالحركات اليوم.[2]

2 – مرحلة كتب المعاني:

ظهرت كتب "معاني القرآن" في بدايات ازدهار النحو العربي، وهي كتب تهدف إلى الإبانة عن المعاني التي تضمنتها آيات القرآن الكريم وذلك بالتركيز على الجانب اللغوي، ولذلك صنفها الدارسون في ما يعرف بـ"التفسير اللغوي للقرآن"، وعليه فلا غرابة أن تزدحم فيها مسائل النحو وما في هذه المسائل من خلاف، ولا يكون ذلك إلاّ بالإعراب، إعراب الآيات كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

لعل أقدم كتاب في معاني القرآن هو كتاب "معاني القرآن" لأبي حمزة الكسائي (189هـ)[3] ، لكن أشهر الكتب في ذلك هي:

- معاني القرآن للفراء (207هـ)
- معاني القرآن للأخفش الأوسط (215هـ)
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (311هـ)

غير أن من أوائل ما وصل إلينا مما أُلّف في إعراب القرآن منفصلا عن معانيه هو كتاب "إعراب القرآن" لأبي جعفر النحاس (338هـ) يضاف إليه "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم" لابن خالويه (370هـ).

ضوابط إعراب القرآن:

مما لا شك فيه أن التعامل مع القرآن إعرابًا لن يكون كالتعامل مع غيره من كلام العربية، فهو كلام الله سبحانه، والخطأ فيه أو تأويله على غير ما أنزل يؤدي إلى الزيغ والضلال، ولتجنب هذه العاقبة وضع العلماء لإعرابه ضوابط أهمها:

1 -أن يفهم المعنى قبل الخوض في الإعراب، ولذلك لا يصح إعراب فواتح السور (من مثل: ألم، ألمص، حم...) لأن الله استأثر بمعناها.

---

[1] – أبو سعيد السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزيني ، نشر مصطفى الحلبي ، 1966 ص 13

[2] – أحمد سليمان ياقوت ،ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م ص56 .

[3] – الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر، 1973 ص70، 74، 75

2 -أن يكون خبيرا بقواعد النحو، فـ"ثمود" في قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾ [النجم51] لا يصح إعرابها مفعولاً به مقدّما للفعل "أبقى"؛ لأنّ بينهما "ما" النافية والتي من حقها الصدارة في الكلام، فلا يعمل ما بعدها في ما قبلها بل هو معطوف على ﴿ عَادًا﴾ في الآية السابقة.

3 -أن يكون ملمًّا بكلام العرب، فمثلاً لا يصحّ عربية جعل الكاف للقسم في قوله تعالى:﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأنفال5]

4 -أن يتجنب الأوجه البعيدة في الإعراب أو الضعيفة والشاذة ولا يعتمدها إلاّ للضرورة، وإنما عليه أن يطلب القريب أو القوي أو الفصيح، ومثال ذلك: إعراب " أَهْلَ البَيْت" منصوبة على الاختصاص في قوله تعالى: ﴿ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [الأحزاب33]، والصواب أنه منصوب لأنه منادى، فالنصب على الاختصاص ضعيف بعد ضمير المخاطب.

5 -أن يكون على علم بالشروط التي وضعها العلماء لكل بابٍ من أبواب النحو المختلفة، مثال ذلك إعراب "الصراطَ" ظرف مكان في قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [يس66]، وهذا خطأ ؛لأن شرط ظرف المكان أن يكون مبهما، وإنما الصواب أنها منصوبة على نزع الخافض، والتقدير " إلى الصراطِ".

6 -أن يستعين على كل تركيب بما يشاكله كلما كان ذلك ممكنا، وإلاّ وقع في تناقض، نحو إعراب "بغافل" في محل رفع من قوله تعالى:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام132]، والصواب أنه في محل نصب؛ لأن الخبر لم يجئ في التنزيل مجردا من الباء إلاّ وهو منصوب.

7 -أن يراعي الرسم الذي عليه المصحف، لذلك أخطأ من قال في ﴿ سَلۡسَبِيلًا ﴾ [الإنسان18] إنها جملة فعلية مشَكَّلة من فعل الأمر "سَلْ" ومفعوله "سَبِيلاً" ؛ لأنها لو كانت كذلك لكتبت في المصحف مفصولة[1]

كتب إعراب القرآن:

سبقت الإشارة إلى أن أول كتاب وصل إلينا من كتب إعراب القرآن هو كتاب " إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، ومن المؤكد أن كتبا أخرى سبقته، لكنها بين حالين، إما أنها ضاعت واندثرت، أو أنها لا تزال مخطوطة لم تُحَقَّق ولم تطبع.

من أوائل ما ألف في إعراب القرآن:

- إعراب القرآن لقطرب (206هـ)
- إعراب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)
- إعراب القرآن لأبي حاتم السجستاني (255هـ)

ومن الكتب القديمة في إعراب القرآن وهي الآن بين أيدينا محققة مطبوعة:

- مشكل إعراب القرآن للقيسي أبي محمد مكي بن أبي طالب (337هـ)

[1] - تراجع بقية الضوابط وتفصيلاتها في : السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 384 وما بعدها

– الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي (502)

– البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري (577هـ)

– التبيان في إعراب القرآن للعكبري (616هـ)

– الفريد في إعراب القرآن المجيد لأبي يوسف حسين بن أبي العز الهمذاني (643هـ)

وغير هذه الكتب كثير[1].

هذا ولم يقتصر التأليف في إعراب القرآن على القدماء، وإنما واصل المحدثون المسيرة، فألفوا فيه أيضًا، ومما ألف في هذا العلم حديثا:

1 – الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح.

2 – إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش

3 – إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس[2]

هذا وتجدر الإشارة إلى أن التأليف في إعراب القرآن ينقسم إلى صنفين: صنف ضمت كتبه إعراب القرآن الكريم كاملا، سورة سورة، وآية آية، وصنف اقتصرت المصنفات فيه على عدد محدود من السور أو الآي، فأما الصنف الأول فقد ذكرناه وأما الصنف الثاني فهذه أمثلة منه:

– إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (370هـ)

– فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة للإسفراييني (684هـ)

– الكلام على قوله تعالى ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ لابن تيمية (728هـ)

ومن الكتب الحديثة في هذا الصنف:

– إعراب سورة آل عمران لعلي حيدر

– في إعراب القرآن لمحمد أحمد نحلة

– سفينة النجاة فيما يتعلق بقوله تعالى﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ لمحمد متولي[3]

[1] – ينظر: يوسف العيساوي، علم إعراب القرآن، ص133 وما بعدها

[2] – ينظر المرجع نفسه ص 147

[3] – ينظر المرجع نفسه ص 150

المحكم والمتشابه في القرآن

في القرآن الكريم مُحْكَمٌ ومُتَشَابِه، وقد ورد ذلك صراحة فيه، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[آل عمران7] ، لكنْ ما المقصود بالمحكم والمتشابه؟

المُحكم في اللغة، من:

أَحْكَم فلانٌ عنّي كذا: أي منعه... وكل شيء منعتَه من الفساد فقد حَكَمْتَهُ وحَكَّمْتَهُ وأَحْكَمْتَهُ.[1]

ومنه: أَحْكَمَ الفرسَ: جعل للجامه حَكَمَةً... والحَكَمَةُ: ما أحاط بالحنَك، سميت بذلك لأنها تمنع الفرس عن الجري الشديد.[2]

يُفهم مما سبق أن المعنى اللغوي للمُحْكَم يتضمن معنى المنع والضبط والتحديد.

أما في الاصطلاح فهو بمفهومه العام يعني الكلام المتقَن الفصيح الذي فيه تمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب.[3]

وهذا دون شك ينطبق على القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي وصفه الحق سبحانه بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود1].

المتشابه:

في اللغة: أَشْبَهَ الشيءُ الشيءَ: ماثَله، وتشابه الشيئان واشْتبها: أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه.[4]

أما في الاصطلاح: فالمتشابه بمفهومه العام، هو الكلام الذي يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ويصدق بعضه بعضا في المعنى ويماثله، وهذا هو القرآن الكريم كما وصفه الحق سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر23]

هذا هو المعنى العام للمُحكم والمتشابِه، وهو الذي ينطبق على القرآن بشكل مُجمل، لكن هناك إحكامٌ خاصٌّ وتشابهٌ خاص، وهو ما تناوله العلماء انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران7]

اختلف في الفرق بين المحكم والمتشابه كما نصت الآية، وجاءت في ذلك أقوال منها:

- الْمُحْكَمُ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِمَّا بِالظُّهُورِ وَإِمَّا بِالتَّأْوِيلِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ كَقِيَامِ السَّاعَةِ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ.
- الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاهُ، وَالْمُتَشَابِهُ نَقِيضُهُ.
- الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا.

---

[1] – الخليل، العين ، 3/ 68

[2] – الزبيدي، تاج العروس، 31/ 515

[3] – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1995، ص206

[4] – ابن منظور، اللسان، 13/ 503

– الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ بِخِلَافِهِ كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَاخْتِصَاصِ الصِّيَامِ بِرَمَضَانَ دُونَ شَعْبَانَ.
– الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غَيْرِهِ.
– الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ، والمتشابه ما لا يُدرك إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ.
– الْمُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ، وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ.
– الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ.[1]

أقسام المتشابه:

قسم الراغب الأصفهاني متشابه القرآن إلى متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما معا. وقد بنى تقسيمه هذا على أن المتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره.

أولا– المتشابه من جهة اللّفظ ضربان:

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إمّا من جهة غرابته نحو: "الأبّ"[2]، و"يزفّون"[3] ، وإمّا من جهة مشاركة في اللّفظ كاليد والعين.

والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركّب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ [النساء 3] .

وضرب لبسط الكلام نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى 11] ، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام نحو: ﴿أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ [الكهف 1و 2] ، تقديره: " أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ قَيِّمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً".

ثانيا– المتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإنّ تلك الصّفات لا تتصوّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه، أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

ثالثا– المتشابه من جهة المعنى واللّفظ جميعا خمسة أضرب:

الأوّل: من جهة الكمّيّة كالعموم والخصوص نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة 5] .

والثاني: من جهة الكيفيّة كالوجوب والنّدب، نحو:﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ [النساء 3].

والثالث: من جهة الزّمان كالنّاسخ والمنسوخ، نحو: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾ [آل عمران 102] .

والرّابع: من جهة المكان والأمور الّتي نزلت فيها، نحو: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها﴾ [البقرة 189] ، وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة 37] ، فإنّ من لا يعرف عادتهم في الجاهليّة يتعذّر عليه فهم هذه الآية.

والخامس: من جهة الشّروط التي بها يصحّ الفعل، أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح.[4]

---

[1] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/ 4

[2] – من قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس31]

[3] - من قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات94]

[4] –الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم بيروت، ط1، 1412، 443، 444

إعجاز القرآن عند الباقلاني

الإعجاز من العَجْز، وهو نقيض القُدْرَة والاستطاعة، ولا يكون الشيء معجزا إلاّ إذا أثبت تفوقه على ما سواه، وجاء بما لا يقدر عليه. ومن هذا الباب "معجزات" الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، يأتون للناس بخوارق العادات دليلا على نبوتهم، وبرهانا على رسالتهم، ولهذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب، لكنه كان معجزا لهم ومتحديا، تحدّاهم أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، قال تعالى:

- ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس38]
- ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [هود13]
- ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء88]
- ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ [الطور34]

طبيعة الإعجاز القرآني:

ما السرّ الذي كان به القرآن معجزا؟

هذا هو السؤال الكبير الذي طرح قديما، وعليه اختلف الناس وتفرقوا إلى طائفتين:

– طائفة ذهبت إلى أنه معجز بالصرفة، ومعناه أن الله سبحانه صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة.

– وطائفة ذهبت إلى أن القرآن معجزٌ بلغته وبيانه.

فأما الطائفة الأولى فقد كان رأيها رأي أبي إسحاق النظام المعتزلي (221هـ) ومن ذهب مذهبه، وقد رُدّ عليهم بأنه إذا كان العرب قد صُرفوا وأُبعدوا عن محاكاة القرآن مع قدرتهم على ذلك، فلا معنى لإعجاز القرآن إذَا، لأنه بهذا المفهوم ليس مُعجزا بنفسه.

وأما الطائفة الثانية فرأيها رأي أهل السنة والجماعة، ومن أشهر الذين أبانوا عن هذا الرأي وفصّلوا فيه الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن".

فمن أبو بكر الباقلاني؟ وما كتابه؟ وكيف أبان عن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم؟

أبو بكر الباقلاني: (338هـ – 403هـ)

هو أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني البصري الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة، سكن بغداد، وصنّف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره، انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة، ترك ما يربو على عشرين كتابًا، منها: التقريب والإرشاد، الإنصاف في أسباب الخلاف، إعجاز القرآن.[1]

[1] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 4/ 270

كتاب "إعجاز القرآن":

الأصل في الكتاب أنه صُنّف للردّ على مذهب المعتزلة في الإعجاز على أنه بالصرفة وليس إعجازًا في اللغة.

يقول الباقلاني: " ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.[1]"

يفهم من هذا الردّ أنّ قول المعتزلة، ومن نحا نحوهم، في أنّ إعجاز القرآن إنما سببه أن الله سبحانه صرف الناس عن محاكاته وهو قادرون على ذلك لو لم يُصرفوا، هو قول باطل، إذ لو كانت المحاكاة ممكنة ما كان هناك معنىً للإعجاز.

وجوه الإعجاز:

عدّد الباقلاني وجوه الإعجاز القرآني، وأبان عنها في كتابه وهي عنده ثلاثة:

1 - تضمن القرآن الإخبار عن الغيب.

2 - أخبر القرآن بقصص السابقين.

3 - بديع نظم القرآن وعجيب تأليفه.

أولا– الإخبار بالغيب:

تضمن القرآن أخبارًا عن المستقبل لا قِبَل للبشر بعلمها، والآيات في ذلك كثيرة منها:

- تبشير المسلمين بأنهم سينتصرون على المشركين في غزوة بدر، في قوله تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر54]

- أخبر سبحانه بأن الروم سيغلبون الفرس لاحقا: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾[الروم1-4]

- إخباره الرسول ﷺ بأنه سيدخل مكة معتمرا، قال سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح27][2]

ثانيا– الإخبار بقصص الأمم السابقة:

وقصص هؤلاء معروفة مبثوثة في القرآن الكريم كقصص الأنبياء مع أقوامهم، ومنها قصة صالح مع ثمود، وقصة هود مع عاد، وموسى مع بني اسرائيل وغيرها، وكذلك قصص أخرى كقصة بلقيس وسدّ مأرب، وقصة ذي القرنين وسدّ يأجوج ومأجوج وهلم جرًّا. ويذكّر الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ بأنه ما كان ليعلم هذه القصص لولا أن الله سبحانه أخبره بذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص44][3]

ثالثا– بديع نظم القرآن وعجيب تأليفه:

هذا هو الجانب الذي حطّ الباقلاّني عنده الرحال، وفصّل فيه أيما تفصيل، حيث يقول عن القرآن: " إنه نظم خارج عن

---

[1] – أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3 (د.ت) ص30

[2] – المصدر نفسه، ص 33، 48

[3] – نفسه، 34، 49

جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومُبَايِن لأساليب خطابهم."[1] وعلى هذا الأساس نفى الباقلاني جملة مزاعم أُلصِقت بلغة القرآن، نفى أن يكون في القرآن شعر، أو أن يكون فيه سجع، ثم استنبط عشرة معانٍ تتصل بلغة القرآن، نورد بعضها مُلخصًا في الآتي:

– لغة القرآن بوجه عام خارجة عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، وله أسلوب يختص به.

– ليس للعرب كلام مشتمل على هذا المستوى من الفصاحة والبلاغة، وهو مستوى يعمّ القرآن برمته، ليس فيه جزء فصيح وآخر غير فصيح، فأما فصاحة العرب فأشعار من هنا وسجعات من هناك.

– نظْم القرآن عجيب لا يتفاوت ولا يتباين بخلاف فصاحة العرب، فقد يكون الشاعر مُجيدًا في المدح دون الهجاء، وقد يكون بارعًا في معنًى قاصرا عن غيره.

– ألفاظ القرآن مختارة منتقاة، ومعانيه جديدة مبتكرة، واختيار اللفظ، عند أهل اللغة، للمعنى المتداول المألوف أسهل وأقرب من تخيُّر الألفاظ لمعانٍ مبتكرة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر.

– ألفاظ القرآن مثيرة للانتباه تتجمل بها الأساليب، وتتوشح بها الخطب، وقد أدرك ذلك أهل اللغة والفصاحة، فعلموا علم اليقين أن لا قِبَل لهم بأن يأتوا بمثله ولو حاولوا وادعوا.

– بعض السور في القرآن افتتحت بأحرف مقطعة (الم، حم، المر، الر...) وفي ذلك دلالة إعجازية، وهو أنّ القرآن مشكَّلٌ من الحروف نفسها التي يستعملها العرب في كلامهم وأدبهم، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله.

– لغة القرآن سهلة، فليس فيها الوحشي المستكره، ولا الغريب المستنكر، ولا المتصنّعُ المتكلّفُ، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مُطمعٍ مع قربه في نفسه، ولا موهِم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يُظفر به.[2]

[1] – أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ، ص 50

[2] – نفسه، ص35 وما بعدها.

إعجاز القرآن عند الجرجاني

من أشهر الذين بحثوا في إعجاز القرآن بعد الباقلاني العلامة الإمام عبد القاهر الجرجاني، فمن هو؟ وما الجديد الذي اختص به في إعجاز القرآن؟

عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ)

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، واضع أصول البلاغة نحوي ومتكلم، ولد في جرجان، نشأ محبًّا للعلم والأدب.من آثاره: أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، الجمل في النحو، المغني في شرح الإيضاح، العمدة في تصريف الأفعال

وجوه الإعجاز عند الجرجاني:

لعل الفرق بين الباقلاني والجرجاني في بسطهما لإعجاز القرآن، هو أن الباقلاني اعتمد الأدلة العقلية والمنطقية في إثبات الإعجاز محاولاً الإجابة عن السؤال: لماذا أعجز القرآنُ العرب على أن يأتوا بمثله أو جزء منه؟ وكان كتابه الإعجاز هو الإجابة عن هذا السؤال.

أما الجرجاني فطرق جانبا آخر في إعجاز القرآن، هو جانب "الذوق"، وما تقتضيه الفصاحة والبلاغة، ووضع لذلك شروطا ومتطلبات ظهرت في نظريته الشهيرة "نظرية النظم".

لسنا هنا بصدد تفصيل القول في هذه النظرية، ولكننا نذكر نُتَفًا من ملامح إعجاز القرآن كما شرحها الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز".

حاول عبد القاهر الجرجاني أن يكتشف سر عجز العرب عن محاكاة القرآن، هذا السر يتعلق بالعرب أنفسهم، أهلِ هذه اللغة، المتذوقين لها، الذين لهم القدرة على التمييز بين جميل القول ورديئه، أو بين فصيحه ومسترذله، وهو الذي جعلهم يعترفون بأن القرآن فصيح جميل، عبر عن ذلك خبيرهم بلغة العرب، الوليد بن المغيرة عندما قال يصف القرآن: "وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَة، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَة، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُورِقٌ، وَأَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ بَشَر."[1]

ذكر الجرجاني لجمال الأسلوب القرآني صفاتٍ وخصائص نذكر منها:

1 - حسن اختيار اللفظ:

لعل شدة عناية عبد القاهر بمسألة النظم جعل البعض يتهمه بأنه أهمل اختيار اللفظ أو أهمل اختيار أدوات اللغة عموما من أسماء وأفعال وحروف، والحقيقة أن الأمرين لا ينفصلان، فهناك حسن اختيارٍ يليه نجاحٌ في وضع ما اختير الموضع الحسن. يرد الجرجاني على الذين يرون أن البلاغة إنما تصدر عن العلم باللغة، يقول: " واعلمْ أَنَّا لم نُوجِبْ المزيَّةَ من أجلِ العِلْم بأنفُسِ الفروقِ والوجوهِ فنستند إلى اللغة، ولكنَّا أوجبْناها للعلم بمواضِعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضْلُ للعلم بأنَّ "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تَراخٍ، و"ثم" له بشرطِ التَّراخي، و"إنْ" لكذا و"إذا" لكذا، ولكنْ لأَنْ يتأتَّى لكَ إذا نظَمْتَ شعراً وألَّفْتَ رسالةً أنْ تُحْسِنَ التخيُّرَ، وأن تَعْرِفَ لكلٍّ مِنْ ذلك مَوضِعَه."[2]

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة1384هـ/ 1964م، 165/10

[2] – أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م، ص249، 250

2 - حسن اختيار المعنى:

اللفظ مرتبط بالمعنى واختيار اللفظ يعني اختيار المعنى، ولا يمكن تصور الفصاحة في لفظ دون معناه، وهذا ركن من أركان الإعجاز عند عبد القاهر، يقول في أهمية المعنى: " ... اللفظ تبع للمعنى في النظْم، وأنَّ الكلمَ تَترتَّب في النُّطقِ بسببِ تَرتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنها لَوْ خَلَتْ من مَعانيها حتى تَتجرَّد أصواتاً وأصداءَ حروفٍ، لما وقعَ في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ، أن يَجب فيها ترتيبٌ ونَظْم، وأن يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازِلُ، وأنْ يجبَ النطقُ بهذه قَبْل النطقِ بتلك.[1]"

3 - حسن الملاءمة بين اللفظ واللفظ:

هذه هي الخاصية التي نادى بها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، عندما رأى أن البلاغة والفصاحة ليست في أن تحسن اختيار اللفظ فقط، وإنما أن تحسن استخدامه ووضعه في الموضع المناسب من السياق، فرُبّ لفظة تكون جميلة مستحسنة في موضع، هي نفسها تكون مسترذلة في موضع آخر، يقول: " فقد اتَّضحَ إذن اتَّضاحاً لا يَدَعُ لِلشكِ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ... وممَّا يَشهد لذلك أَنَّك تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ."[2]

هذه بعض وجوهٍ للإعجاز أثبتها الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" وأمثلتها من القرآن مبثوثة في الكتاب المذكور، يمكن الرجوع إليها.

[1] - أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص56

[2] - المصدر نفسه، ص46

التفسير اللغوي للقرآن الكريم

القرآن الكريم دستور هذه الأمة، وحاجتها إليه لاتنفك عن حاجتها إلى تفسيره، وقد شُرع في تفسير القرآن منذ لحظة نزوله على عهد الصحابة رضوان الله عليهم الذين نزل فيهم، واستمر الأمر كذلك ولم يتوقف إلى اليوم، ولهذا تعددت التفاسير عبر العصور مضمونا ومنهجا، فكان هناك التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وكان هناك التفسير الفقهي والعلمي والأدبي واللغوي، هذا الأخير الذي نريد أن نفصّل القول فيه.

تعريفه:

التفسير اللغوي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.[1]

نشأته وتطوره:

يمكن أن نقسم تطور التفسير اللغوي إلى المراحل الآتية:

1 – مرحلة علماء السلف:

يُقصد بعلماءِ السلفِ الصحابةُ والتابعون وأتباع التابعين[2]، فهؤلاء إنما نزل القرآن بلغتهم فكانوا أقرب الناس إليه، فمن الصحابة عبد الله بن مسعود(35هـ) وعبد الله بن عباس(68هـ)، ثم جاء بعدهم التابعون كسعيد بن جبير(34هـ) وقتادة بن دعامة السدوسي(117هـ)، ثم أتباع التابعين كإسماعيل السدي الكوفي(128هـ) وعبد الملك بن جريج المكي(150هـ). وغيرهم.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا عندما نتحدث في هذه المرحلة عن التفسير وأعلامه، لانقصد بالضرورة التفسير اللغوي؛ لأنها المرحلة التي لم يتميز فيها التفسير اللغوي بشكل بارز مستقل، وإنما عُدَّت هذه المرحلة من التفسير اللغوي؛ لأن علماء السلف فيها فسروا القرآن الكريم بحكم فقههم للغة العرب ومعرفتهم بفنون الخطاب فيها، ومن الأمثلة في ذلك:

– ورد عن ابن عباس ﷺ أن ﴿ دِهَاقًا ﴾ من قوله تعالى:﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبأ34]، تعني: مَلْأَى.[3]

– عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أن ﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾[النازعات14] تعني: "على الأرض"، قال: فذكر شعرا قاله أُمية بن أبي الصلت، فقال:

عِنْدَنا صَيْدُ بَحْرٍ وصَيْدُ ساهِرَةٍ [4]

2 – التفسير اللغوي عند اللغويين:

هذه المرحلة تتقاطع مع سابقتها إذا وضعنا في الاعتبار أن قدماء اللغويين ظهروا في منتصف القرن الثاني للهجرة، ومنهم أبو عمرو بن العلاء(154هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) وعلي بن حمزة الكسائي(189هـ)... هؤلاء عاصروا

---

[1] – مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص 38

[2] – نفسه، 58

[3] – ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، / 2000م، 18/30

[4] – نفسه، 24/ 197

أتباع التابعين كعبد الملك بن جريج(150هـ) وعبد الرحمان بن زيد المدني(182هـ) وغيرهما.

وقد ذهب الباحث مساعد الطيار إلى أن لغويي هذه الفترة ساهموا في تفسير القرآن بطريقتين:

إحداهما غير مباشرة والثانية مباشرة.

فأما **مساهمتهم غير المباشرة** فتظهر في تلك الجهود التي بذلها هؤلاء اللغويون في جمع كلام العرب، ترى أحدهم يورد اللفظة ثم يذكر معانيها المختلفة، وفي أثناء ذلك يستدل بأشعار العرب أو بما ورد في القرآن الكريم، وهذا يعني أن اللغوي في تعامله مع كلام العرب، ألفاظِه وعباراته، لايقصد تفسير القرآن الكريم، وإنما يقدم بشكل غير مباشر المادة الخام لتفسير ألفاظ القرآن، وهذا مثال توضيحي من معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي:

"والهَجْرُ والهِجْران: تركُ ما يَلْزَمُك تَعَهُّدُهُ، ومنه اشتُقَّتْ هجرةُ المهاجرينَ، لأنّهم هَجَروا عشائِرَهُمْ فتقطّعوهم في الله، قال الشاعر:

وأُكْثِرَ هَجْرَ البيتِ حتّى كأنّني ... مَلِلْتُ وما بي من مَلالٍ ولا هَجْرِ

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان30] أي: يهجرونني وإياه.

وقال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون67] أي: تَهْجُرون محمّداً. ومن قرأ ﴿تُهْجِرُونَ﴾ أي: تقولون الهُجْر، أي: قول الخَنا، والإفحاش في المنطِق، تقول: أَهْجَر إهْجاراً، قال الشمّاخ:

كماجدةِ الأَعْراقِ قال ابنُ ضَرَّةٍ ... عليها كلاماً جار فيهِ وأَهْجَرا"[1]

وأما **مساهمتهم المباشرة** فتظهر في كتب غريب القرآن وكتب معاني القرآن، ومنها:

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)
- غريب القرآن لابن قتيبة (276هـ)
- معاني القرآن للفراء (207هـ)
- معاني القرآن للأخفش الأوسط (215هـ)

هذه الكتب جعلت من القرآن الكريم المنطلق والمنتهى، غير أنها لم تتحول إلى تفسير خالص للقرآن الكريم، إنما كانت لها ميزات نذكر منها:

1 - الاستفاضة في بسط المسائل النحوية والصرفية حتى لكأن الآية لا تفسر إلا إذا اشتملت على إشكال يتعلق بالنحو والصرف، وهذا المنهج غالب على كتب معاني القرآن.

2 - كثرة الشواهد من كلام العرب شعره ونثره، غير أن هناك فرقا بين كتب المعاني وكتب الغريب، فأما كتب المعاني فشواهدها في الغالب تخدم النحو والصرف، أما كتب الغريب فتخدم اللغة ودلالات الألفاظ.

وهذان مثالان، أحدهما من كتب المعاني والآخر من كتب الغريب:

- من كتب المعاني:

جاء في كتاب "معاني القرآن" للفراء:

[1] - الخليل بن أحمد، معجم العين، 3/ 387

وقوله ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [الفرقان21].

لا يَخافونَ لقاءنا وهي لغة تِهامية: يضعونَ الرجاء في موضع الخوف إذَا كَان معه جحد . من ذَلِكَ قول الله﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح13] ،أي لا تخافون له عظمة. وأنشدني بعضهم:

لا ترتجِي حِينَ تلاقي الذائدا ... أسْبَعَةً لاقَتْ مَعًا أم وَاحِدَا

يريد: لا تَخاف ولا تبالي. وقال الآخر:

إذَا لسعته النحل لَمْ يَرْج لَسْعَهَا ... وحَالَفَها في بيتِ نُوب عَوَامِلِ

يُقال: نَوْب، ونُوب. ويُقال: أَوْب وأُوب من الرجوع قَالَ الفراء: والنُّوب ذكر النحل.[1]

- من **كتب غريب القرآن:**

جاء في كتاب غريب القرآن لابن قتيبة:

" ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ [النور11]، أي [عُظْمَهُ]، قال الشاعر يصف امرأة:

تَنَامُ عَن كِبْرِ شَأْنِهَا فإذا ... [قَامَتْ رُوَيْدًا تكادُ تَنْغَرِفُ]

أي تنام عن عظم شأنها؛ لأنها مُنَعَّمَة.[2]

3 - كتب التفسير اللغوي:

ظهور هذه الكتب في تفسير القرآن الكريم يعني وصول التفسير اللغوي مرحلته الأخيرة.

أورد الباحث مساعد الطيار في كتابه القيم "التفسير اللغوي للقرآن الكريم" عرضا مفصلا لهذه الكتب ولمميزات التفسير فيها، وهذه ثل[3]اثة منها، يمكن عدُّها أمهات التفسير اللغوي وهي:

1 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري (310هـ):

وتميز تفسيره بالآتي:

- الاستشهاد بأقوال السلف في التفسير اللغوي.
- قبول المحتملات اللغوية الواردة عن السلف.
- استعمال اللغة في الترجيح

2 - الجامع لعلم القرآن للرماني (384هـ)

ويتميز تفسيره بما يأتي:

- كثرة استخدامه أسلوب السؤال والجواب.
- ذكر المناسبات بين بعض الآي.
- الإكثار من ذكر الفروق اللغوية بين الألفاظ، مع الحرص على الكشف عن معنى أصل اللفظ.

---

[1] - الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1402هـ / 1983م، 2/ 265

[2] - ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت،1398هـ/ 1978م ، ص 301

3 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (542هـ)

ومما يتميز به هذا التفسير:

- الحرص على تحرير معنى اللفظ في اللغة، وبذلك يُحسم كلّ خلاف في دلالته.
- كثرة المحتملات اللغوية.
- الاحتكام إلى اللغة من أجل ترجيح قول على قول.[1]

[1] - لمزيد من التفصيل حول هذه الكتب يمكن الرجوع إلى:

مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص185 وما بعدها.